الإنية والغيرية

شرح تربوي معمّق ومراجعة عملية لتلاميذ الباكالوريا في تونس

الفلسفة | شعبة الآداب

تمهيد وأهداف التعلم

هذا الدرس متوافق مع المنهج الدراسي التونسي، وقد أُعيد ترتيبه تربويًا ليساعد على الفهم والمراجعة. لا تُنسب الأمثلة التوضيحية الإضافية إلى مؤلف أو كتاب ما لم ترد إحالة واضحة إليها.

- فهم المفاهيم والأفكار المركزية في الدرس.
- التمييز بين الشرح والتحليل والتقويم بحسب طبيعة المادة.
- تحويل الفهم إلى إجابة منظمة قابلة للتطبيق في الاختبار.

شرح مادة الدرس

شرح مادة الدرس: الإنية والغيرية

يبحث محور الإنية والغيرية في سؤالين متلازمين: ما الذي يجعلني أنا نفسي، وما موقع الغير في تكوّن هويتي؟ فالإنية لا تعني مجرد وجود فرد يحمل اسما أو جسدا، بل تشير إلى خصوصية الذات وإحساسها بحضورها واستمرارها. أما الغيرية فتحيل إلى ما ليس أنا، أي إلى اختلاف الآخر عني. غير أن هذا التقابل لا يحسم المسألة؛ إذ قد يكون الغير مقابلا للذات، لكنه قد يكون أيضا شرطا

لفهمها أو عنصرا من عناصر تشكلها. لذلك لا يقتصر الدرس على تعريف مفهومين، بل يختبر العلاقة بينهما من زوايا وجودية ومعرفية ونفسية واجتماعية وتاريخية.

ومن المفيد، عند معالجة موضوع في الفلسفة، ألا نكتفي بسرد المواقف. ينبغي أن نضبط الإشكال، ونبيّن ما الذي يجعل الجواب صعبا، ثم نبني مقارنة تفسر اختلاف التصورات. فالسؤال عن الإنية مثلا قد يقود إلى البحث عن جوهر ثابت، لكنه قد يكشف أيضا أن الذات مرتبطة بالجسد أو باللاوعي أو بالآخرين. والسؤال عن الغير قد يتخذ صورة التهديد، أو صورة الاعتراف المتبادل، أو صورة الحضور داخل الذات. بهذا المعنى، يتطلب المحور الانتقال من تعريف المفاهيم إلى تحليل الروابط بينها.

هل تقوم الإنية على النفس أم على وحدة الإنسان؟

ينطلق أفلاطون من تصور يميز بين النفس والجسد تمييزا حادا. فالنفس عنده مبدأ روحاني قادر على الحركة والتفكير، في حين ينتمي الجسد إلى العالم الحسي المتغير. وبما أن الحقيقة، في هذا المنظور، لا تُنال بالحواس وحدها، يصبح الجسد عائقا حين يشد النفس إلى المحسوس ويصرفها عن طلب المعرفة. وتظهر هذه النظرة أيضا في توزيع قوى النفس: فالعقل يوجّه، بينما ترتبط قوى أخرى بالشجاعة والرغبة، ويكون اعتدالها محتاجا إلى قيادة حكيمة. ويمكن تقريب الفكرة بمثال شخص يعرف أن التروي أصلح له، لكنه يندفع وراء رغبة عاجلة؛ فالتصور الأفلاطوني يفسر ذلك بوصفه حاجة إلى ضبط القوى الأدنى بواسطة العقل.

أما ديكارت فيجعل التفكير أساس تعريف الأنا، ويميز بين النفس المفكرة والجسم الممتد. وتبدو النفس، وفق هذا الموقف، أقرب إلى الذات من الجسم، لأن الإنسان يدرك أنه يفكر إدراكا مباشرا، بينما يتعرف إلى الجسم عبر خواصه المحسوسة وما يستنتجه الذهن منها. ولهذا يبرز سؤال صعب: إذا كانت الذات تُعرّف بالفكر، فهل يمكنها أن تفهم نفسها مستقلة عن الجسد والعالم؟ إن هذا الاتجاه يقوي استقلال الأنا، لكنه يثير احتمال انغلاقها على ذاتها، بحيث يصبح وجود الغير أمرا لا يثبت مباشرة من تجربة التفكير نفسها.

ويقدم سبينوزا تصورا مغايرا، إذ لا يجعل الإنسان مؤلفا من جوهرين منفصلين، بل يرد النفس والجسم إلى حقيقة واحدة يُنظر إليها من جهتي الفكر والامتداد. فلا يكون التفكير شيئا غريبا عن الجسد، ولا يكون الجسد مجرد غلاف عرضي للذات. وتساعد هذه الرؤية على تجاوز الاختيار البسيط بين نفس خالصة وجسم منفصل: فالإنسان وحدة تتجلى بوجوه مختلفة. ومثال ذلك أن التعب الجسدي قد يؤثر في الانتباه والمزاج، كما يمكن لحالة نفسية أن تنعكس في حركة الجسم؛ فالخبرة الإنسانية الفعلية تكشف تشابك البعدين.

الجسد واللاوعي: حدود سيادة الأنا

لا يساوي ميرلوبونتي بين الجسد الذي نعيشه والجسد الذي يمكن النظر إليه كموضوع خارجي. فجسدي الخاص هو جسدي كما أحضره وأتحرك به وأدرك العالم من خلاله. ليس الجسد هنا أداة أملكها من الخارج فحسب، بل هو سبيل وجودي في العالم. فعندما أمسك قلما أو أتجنب عائقا، لا أحتاج في كل حركة إلى حساب واعٍ مفصل؛ إن جسدي يتيح لي الانخراط في المحيط. ومن ثم تتصل الإنية بالحضور المجسد، لا بفكر معزول عن التجربة الحسية.

ويضع اكتشاف اللاوعي، كما يعرضه فرويد، تصورا آخر لحدود تحكم الأنا. فالحياة النفسية لا تنحصر في الوعي الواضح؛ إذ تظهر رغبات ودوافع لا يقر بها الفرد مباشرة، وقد تتبدى في الأحلام أو زلات اللسان أو الهفوات. ويبرز إلى جانبها الأنا الأعلى بوصفه حاملا لمطالب ورقابة أخلاقية واجتماعية. أما الأنا الواعي فيجد نفسه مطالبا بالتوفيق بين رغبات الهو، وضوابط الأنا الأعلى، وشروط الواقع. وللتوضيح، قد يرغب شخص في تصرف يمنحه لذة فورية، لكنه يكبحه بسبب حكم داخلي أو لأن ظروف الواقع تمنعه. لذلك لا تكون الذات سيدة شفافة لكل دوافعها، بل تنطوي على توتر داخلي يجعلها مختلفة عن صورتها الواعية عن نفسها.

هل يحتاج الوعي بالذات إلى الغير؟

مع هيجل، لا يتحقق الوعي بالذات في عزلة مكتفية، بل يحتاج إلى علاقة بوعي آخر. فالذات تطلب أن يُعترف بها بوصفها ذاتا مستقلة، ولا يكفيها أن تعرف نفسها في داخلها. وتوضح جدلية السيد والعبد أن علاقة السيطرة لا تمنح اعترافا متوازنا: فالسيد يطلب اعترافا من طرف يخضع له، ولذلك يظل الاعتراف ناقصا. أما بلوغ علاقة بينذاتية فيقتضي أن يعترف كل طرف بالآخر، فلا يعود الغير مجرد شيء يُستعمل أو عقبة ينبغي محوها. وتفيد هذه الفكرة تلميذ الباكالوريا في فهم أن الاستقلال لا يعني الاستغناء عن الناس؛ فقد يحتاج الإنسان إلى الآخرين لكي تتأكد مكانته وهويته.

ولا يقتصر أثر الغير على الاعتراف المباشر، بل يتصل أيضا بالشروط الاجتماعية والتاريخية للحياة. يبرز ماركس أن وعي الأفراد يتشكل في سياق وجودهم الاجتماعي وعلاقاتهم العملية، لا في فراغ. فالإنسان يعمل ويتفاعل داخل واقع محدد، ويسهم نشاطه في صنع ذلك الواقع. ومن هنا لا تكون معرفة الذات مجرد تأمل فردي، إذ يمكن أن تتضمن فهما للموقع الاجتماعي وللظروف التي تؤثر في الأفكار والاختيارات. كما أن الوعي بهذه الظروف يفتح إمكان العمل على تغييرها، لا الاكتفاء بالتكيف معها.

ويعمق إدغار موران الصلة بين الإنية والغيرية، رافضا تصور الآخر بوصفه نقيضا خارجيا تماما. فالإنسان مركب، وفيه أوجه متباينة؛ لذلك قد يلتقي في علاقته بالغير التشابه والاختلاف، والمودة والتوتر. وتجربة المرآة مثال بسيط على هذا الالتباس: يرى المرء صورته مألوفة لأنها تمثله، وغريبة لأنها تظهر أمامه كأنها شيء مستقل. كما أن الذات قد تحمل داخلها ميولا أو أفكارا لا تنسجم تماما مع الصورة التي تريدها عن نفسها. وهكذا لا يكون الغير خارج الذات دائما، بل يمكن أن تكشف علاقتنا به عن جوانب كامنة فينا.

خلاصة منهجية

تبيّن مواقف المحور أن الإنية ليست حقيقة يسهل حصرها في عنصر واحد: فقد تُربط بالنفس المفكرة، أو تتجلى في وحدة النفس والجسم، أو تتحدد بحضور الجسد واللاوعي والعلاقات الاجتماعية. وبالمثل، لا تؤدي الغيرية وظيفة واحدة؛ فقد تبدو اختلافا يهدد استقلال الأنا، وقد تصبح شرطا للاعتراف، أو جزءا من العالم الذي تتشكل فيه الذات. لذلك، عند كتابة المقال

الفلسفي، احرص على صياغة مفارقة واضحة، مثل: هل أكون نفسي وحدي، أم لا أكتشف ذاتي إلا بواسطة ما يختلف عني؟ ثم اعرض المواقف في خدمة الإشكال، وفسر مفاهيمها بأمثلة، وقارن نتائجها دون تحويل الإجابة إلى قائمة أسماء. والخلاصة المتوازنة أن الإنية والغيرية متمايزتان، لكنهما متداخلتان في تجربة الإنسان.

المفردات والمصطلحات

المصطلح	دلالته في سياق الدرس
الإنية	حضور الذات لذاتها وتعيّنها، مع التنبيه إلى أن معناها يتغير بحسب التصور الفلسفي.
الغيرية	علاقة الاختلاف والانفتاح على الآخر، وليست مجرد نقيض سطحي للذات.
العلاقة البينذاتية	تفاعل الذوات داخل العالم والتاريخ واللغة والجسد.

منهجية الإجابة في الاختبار

1. اقرأ الموضوع مرتين وحدّد مفاهيمه وألفاظه الموجّهة مثل: هل، كيف، إلى أي مدى.
2. صغ الإشكال في صورة توتر أو علاقة بين المفاهيم، ثم ميّز الأطروحة التي يثبتها السؤال من الأطروحة المستبعدة.
3. اعرض الموقف الأول بحججه، ثم ناقشه بحدوده واعتراضاته، وانتقل إلى موقف أو إمكان آخر يثري الإشكال.
4. اختم بتركيب معلّل لا بتكرار المقدمة، وبيّن شروط إمكان الجمع أو حدود التعارض.

نموذج تطبيقي قصير

ابدأ من لفظ السؤال أو الفكرة المركزية، ثم اربطها بمحورين من مادة الدرس. أدرج شاهدًا من المصدر، واشرحه، وبعد ذلك قيّم النتيجة في ضوء حدودها وشروطها. هذا النموذج إجرائي، أما مضمون الإجابة فيتغير بحسب السؤال.

خلاصة المراجعة

قبل الاختبار، راجع عنوان الدرس وإشكاله أو موضوعه، ثم احفظ شبكة المفاهيم والعلاقات والشواهد. لا تكرر عبارات المصدر دون تفسير، ولا تضف قولًا إلى صاحبه من غير إحالة ظاهرة.

المصدر المعتمد: باك14.txt. الملفات المتاحة في المشروع نصوص مستخرجة وليست ملفات PDF مرقّمة؛ لذلك لم تُخترع أرقام صفحات. أي إحالة غير مقروعة في المصدر بقيت على حالها أو نُبّه إليها.